خطبة روزفلت في باريس

قالت جريدة التيمس في ٢٤ ابريل ما ذاع خبر عزم المستر روزفلت على الخطابة في نادي جامعة السوربون عن واجبات الوطني في الجمهورية حتى احتشد الجم الغفير من العلماء والفلاسفة والوجهاء والطلبة رجالاً ونساء من جميع الملل والنحل وناف عددهم على ثلاثة آلاف نفس. وما استقروا في اماكنهم حتى دخل المستر روزفلت وعلا منبر الخطابة يحف به نواب الاندية السياسية والعلمية والادبية فقوبل بالاعظام والاجلال ونهض العدد العديد عن مقاعدهم اكباراً لقدره. وقدمهُ رئيس جامعة السوربون الى الحضور وكان المسيو لوبه رئيس الجمهورية السابق والمسيو براين والمسيو ليون برجوى والمسيو رمنديوانكرى والمسيو هانوتو وآخرون من ذوي المكانة السامية جلوساً عن يمينهِ وعن يسارهِ. فوقف وقفة الخطيب وفي يدهِ مذكرات صغيرة برؤوس المواضيع التي يريد ان يخوض عبابها في مباحثهِ الهامة وطفق يتكلم بعبارة فصيحة وصوت رنان اخترق جوانب المكان حتى سمعهُ القاصي والداني وكان يلتفت الى اوقاتهِ مرة بعد أخرى ولكنهُ كان يقضي عنها كلما خطرت لهُ نكتة او ذكر مثلاً او اراد تفسير كلام مجمل. فالمَّ في خطابهِ بالواجبات والمقاصد والاغراض التي يشترك فيها سكان الجمهوريتين المعدودتين في طليعة الامم رقياً ومدنية وقال ان الوطنية الصحيحة في الجمهوريتين الديمقراطيتين ظاهرة في اخلاق الافراد. وابان ان الاعتماد في البلدان الملكية يكون اكثرهُ على حكام البلاد واما في البلدان الجمهورية كفرنسا واميركا فاكثر الاعتماد على صفات السكان انفسهم لانهم هم حكام البلاد فعلاً. ولفرنسا مقام خاص في الدنيا من وجوه كثيرة لان ابناءها بقوا قروناً كثيرة مثالاً لغيرهم في الشهامة والبسالة كرجال حرب وفي العلوم والفنون والآداب كرجال درس وبحث. وعلى فرنسا واميركا في الوقت الحاضر ان لا تنسيا اهمية الاخلاق الشخصية التي لا يحسب التفوق العقلي والنبوغ الجسدي في جنبها شيئاً مذكوراً مهما كانا مطلوبين لذاتهما لانهما ليسا سوى وسيلتين لغاية اعظم منهما. فالتعليم العقلي يقصر عن الغاية المطلوبة منهُ اذا قاد صاحبهُ الى اعتزال الناس او الى التهكم بهم لانهُ لا يكون حينئذٍ من ادلة العظمة بل من ادلة الضعف. والعبرة بالرجل الذي يدخل ميدان العمل ويعمل فيهِ بهمة ونشاط فيذكرهُ خلفاؤهُ بالمدح والثناء لا بالنقد المنزوي الذي يتجنب الفوز ويتجنب الفشل على حد سوى

العمل فرض على كل انسان حتى يستطيع ان يصول نفسهُ والاَّ لم يستطع ان يفيد امتهُ . وعلى كل امرئ ان يسعى ليزيد امتهُ نموًّا والعقم شر البلايا وشر العقم ما كان اختياريًّا . ومن اوجب الواجبات ان يصير الرجل والمرأة والدين لاولاد اصحاء لكي تزيد بهم الامة ولا تنقص . والعقم الصناعي من اكبر الآفات فانهُ جريمة مصدرها محبة اللذات والخوف من الم المخاض ومخاطره وعاقبتها سيئة على مجترميها . فان كنا نحن سكان الجمهوريتين العظيمتين نحن الاحرار الذين نفتخر باننا عتقنا انفسنا من رق الخطإ والضلال — ان كنا نحن نجلب على رؤوسنا اللعنة التي تنصبُّ على من يقطع نسلهُ بيدهِ فيكون من العبث ان نباهي باعمالنا فانهُ ما من شيء من اطايب الحياة ومراتب النجاح ومطالب الغنى ومقامات العلوم والفنون يقوم مقام ما نفقدهُ من الفضائل الاساسية واعظم هذه الفضائل المقتدرة على حفظ النسل

ثم اشار الى ما يجب على المرء من السعي ليحول زوجتهُ واولادهُ واستطرد الى الكلام على الذين يرثون الاموال الطائلة وقال ان المال الطائل ليس الاَّ اساسًا يبني عليهِ المرء مطالب اسمى منهُ الى ان قال

ولهذا لا انظر الى صاحب الملايين الكثيرة كرجل كبير النفع للبلاد الاَّ اذا كسب اموالهُ بطرق نافعة واستعملها في طرق نافعة . فالعبرة اذاً في طرق جمع المال وطرق انفاقهِ . ولا تقوم الاعمال الكبيرة ما لم يدركها ذوو العقول الثاقبة وهؤلاء لا يستغنى عنهم بين دونهم عقلاً وذكاء ولذلك يحق لهم ان يُعترَف بفضلهم . ولكن لا يجدر بنا ان نجعل بهذا الاعتراف بدلاً من الاعجاب بالصفات التي استحقتهُ . واذا اعترفنا بفضل من لا فضل لهُ فيكون ذلك دليلاً على خسة ودناءة فينا . واذا بلغ المرء درجة معلومة من النجاح او من الجزاء لم يبقَ شأن للزيادة من ذلك بالنسبة الى مطالب الحياة الاخرى . وقلما لامة تكرم من يجلسهُ كاذب ولا اكذب من نجاح مادي يكرَم لذاتهِ

وكان المستر روزفلت يتكلم بالانكليزية فلما وصل الى العبارة التالية قالها بالانكليزية ثم بالفرنسية لكي ترسخ في اذهان سامعيهِ وهي « اما نظري الى الاموال فيمكن التعبير عنهُ بكلمات قليلة . للمال حق لا ينكر ولكن للانسان ايضاً حق لا ينكر والحقان متماثلان لا خلاف بينهما فاذا وقع بينهما خلاف فحقوق الانسان يجب ان تقدم على حقوق المال لان المال للانسان وليس الانسان للمال » . فصفق لهُ الحضور طويلاً ثم قال

قد يحترم الناس اموراً لذاتها في البلدان الجمهورية وهي انما تستحق الاحترام بالنسبة الى

ما تستخدم لهُ . ومن ذلك المقدرة على اكتساب المال والمقدرة على الخطابة . فاذا لم يكن مع المقدرة على كسب المال صفات اخرى اسمى منها فاصحابها اقل الناس استحقاقاً للاكرام في البلدان الجمهورية . وكذا موهبة الفصاحة فانهُ اذا زاد تأثر الناس بكلام الخطباء فذلك دليل الضعف لان لا قيمة للخطابة الاَّ اذا قادت الى العمل الواجب . ومن هذا القبيل قوة الصحافة او هي اقوى في زماننا من قوة الخطابة وهي قد تكون كبيرة الفائدة ولكن ما من كلام يؤلم الصحافة التي تعتمد على الكذب والوقيعة وتصوير الوقائع بغير صورتها الحقيقية تزييناً للقراء فتخالف ما تقضي بهِ الآداب والذوق السليم . ولا عذر للصحف بان الجمهور يطلب ان يرى فيها هذه الامور كما لا عذر للبائع اذا باع بضاعة مغشوشة وهو يقول ان الناس يشترونها منهُ

وتكلم بعد ذلك على الاشتراكية وخطأ مبادئها المتطرفة ولو قال بها ودافع عنها جماعة من كبار العقول . واستطرد الى حقوق الجماعات القليلة فقال يجب ان تطلق الحرية التامة لكل امرئ في دينهِ ومعيشتهِ على شرط ان لا يضر بغيرهِ . الى ان قال ان صلف الاغنياء والاثرياء يمائل حقد الذين يحسدونهم ويخشون زوال نعمتهم والخلطان من قبيل واحد وتسلط هذا الفريق او ذاك من مقدمات الخراب . ورجال السياسة الذين يعدون فريقاً من الناس بالمساعدة على نفقة الفريق الآخر لا يركن اليهم فاذا وعدك السياسي انهُ يراعي مصلحتك ولو اضر بمصلحة غيرك فلا تثق بهِ لانهُ قد يضحي مصلحتك لمصلحتهِ

وجعل باقي الخطبة لمحبة الوطن وارتباطها بالعلاقات الدولية وقال ان الامة المستقيمة يجب ان تعامل سائر الامم كما يعامل الرجل المستقيم غيرهُ بالصدق والاستقامة . يجب ان لا تغضي عن حقوقها ولكن يجب ايضاً ان تحترم حقوق غيرها . وآداب الامم بعضها مع بعض مثل آداب الافراد بعضهم مع بعض . وختم خطبتهُ بذكر عظمة فرنسا ومقامها السامي في التاريخ والعمران وان كل مصيبة تحل بها تؤلم الولايات المتحدة وتكون مصيبة على العالم كلهِ وقال انها اقدر امم الارض على تعليم البسالة والتهذيب

الى ان قال ان لكم ماضياً مجيداً واني واثق بان مستقبلكم يكون مجيداً مثلهُ فليبقَ فخركم واثقاً انكم امة لها الشأن الاعظم في ارتقاء نوع الانسان

واستهلت جريدة المانن كلامها عن خطبة روزفلت في كلية السوربون ووصف الذين حضروها بقولها

كانت كل باريس مجتمعة في السوربون امس بعد الظهر بل يمكن ان يقال ان جنان فرنسا وذكاءها كانا مجتمعين في قاعة جامعتنا الوطنية فكان فيها رجال الحكومة واعضاء الاكاديمي الفرنسوية واساتذة كلية الآداب واساتذة كلية السربون واساتذة كلية العلوم وعلماءنا وفلاسفتنا وقضاتنا وسفراء الدول وقواد جيش البر وجيش البحر · كان فيها كل كبير وعظيم في العاصمة وكان فيها ثلث الحاضرين على الاقل من السيدات الباريسيات فلم تدنُ الساعة الثالثة حتى سمع دوي شديد في خارج القاعة ايذاناً بوصول المستر روزفلت ولم يكد يدخل القاعة حتى وقف الجمع لهُ اجلالاً واعظاماً

فدخل بكل بساطة وتواضع بعيداً عن التكلف والتكبر يتقدمهُ المسيو لبين مدير البوليس فقط ليفسح لهُ طريقاً وسط الجمع المحتشد · ثم جلس وراء المائدة المغطاة بغطاء احمر والمعينة للذين يخطبون في تلك القاعة فلم يكد يصلها حتى دوت جوانب القاعة باصوات المتاف الشديد وكان الجميع يهتفون قائلين فليحي روزفلت · واخذت السيدات الجالسات في لوج النادي يلوحن بالبارق الاميركية اكراماً للضيف

هذه كانت تحية مدينة باريس للمستر روزفلت ومهما كان اقتدارهُ على امتلاك عواطفه فانهُ لم يتمالك نفسهُ عن التأثر بذلك الاستقبال تأثراً واضحاً فاحنى رأسهُ اربع مرات للحاضرين شاكراً وهم يزيدون لهُ هتافاً

وبعث مكاتب التيمس الخصوصي في ٢٦ ابريل الماضي رسالة الى جريدته قال فيها · احتفلت بلدية باريس بحصول رئيس جمهورية اميركا السابق عضواً في الانستيتو احتفالاً شائقاً قبل ان خطب خطبتهُ في جامعة السوربون · وبعد ما خطب تلك الخطبة وددت لما الارجاء اولم لهُ مجلس البلدية الباريسية وليمة شائقة في قصر البلدية فقوبل فيها بالاجلال اللائق بقدر رجل عظيم مثله

ولما زار مجلس البلدية اليوم كان بمعيتهِ محافظ السين والمسيو بريان رئيس الوزارة والمسيو بيشون ناظر الخارجية فوقف المسيو كارون رئيس مجلس البلدية وخاطبهُ خطاباً رقيق العبارة ابان فيهِ مزيداً كرام الباريزيين للمستر روزفلت الذي لم يرَ مجلس البلدية نعتاً يليق بهِ خيراً من نعتهِ لهُ « بالرجل » الذي يمثل الجمهورية العظيمة التي تعدهُ اليوم اشهر عنوان لها واعظم دليل عليها · وقال رئيس البلدية ايضاً حسبي في بيان اخلاق ذلك الرجل ان اعيد بعض الاقوال التي فاه بها في خطبتهِ في جامعة السوربون والتي وقعت اعظم وقع في نفوس اهل الجد

وانكد منا الذين هم من الامة بمثابة السلسلة الفقارية من الجسد قال « ان الرجل الذي يحتار الكسل والمرأة التي تختار العقم لا حق لهما في الاندماج في هيئة نشيطة عاملة »

ثم تلاه المسيو لبين رئيس البوليس فرحب بالمستر روزفلت ايضاً وقال في عرض كلامه

ان الذين يصفون اهل باريس بالشك والطيش لا يعرفون من اخلاقهم الا القليل فان نفس الامة الفرنسوية تسمو الى المعالي وتسعى وراء ادراك الحقائق كما كان في قديم الزمان فاذا كنا نكرم الفنون الجميلة ونطري الجمال فالجمال الادبي اسمى عندنا واجل

فوقف المستر روزفلت وشكر المحتفلين به وقال انني سأبذل جهد المستطاع في ان اجعل نصب عيني تلك الصفات التي تكرمتم علي فوصفتموني بها . ان كثيرين من الاميركيين يأتون باريس لاغتنام المسرات ولكني لست أرى رأيهم في هذه المدينة العظيمة بل ارى ان باريس التي هي آية الجمال والابداع هي مدينة العلم والعمل ايضاً فمصانعها لا تبارى ومدارسها الفنية لا تحاكى وهي التي يلقبها الاميركيون « بالنابة المقدسة » يسمعون منها صوت آلهة الشعر والموسيقى (اشارة الى ما ورد عن الشعر والموسيقى في خرافات القدماء)

قال الكاتب وقد اثرت خطبة المستر روزفلت في جامعة السوربون تأثيراً عظيماً في فرنسا لما تضمنت من الاقوال الحية والعبارات المؤثرة فصادفت هوى في نفس اعظم بلاد في العالم تحافظ جهد استطاعتها على مبادئ الديمقراطية . ففيها الافكار منصرفة الى الانتخابات العمومية وليس لدى اهل السياسة موضوع هام يشغلهم الآن شغلوا بخطبة روزفلت لانهم حسبوها درساً مفيداً في حياتهم المدنية ولاسيما لانهم سمعوه من كان رئيس جمهورية عظيمة مثل جمهوريتهم . ولم يقتصر ذلك على كبار الساسة ورجال الصحافة بل تعداهم الى ارباب العلوم والفنون الجميلة بحيث امسى المستر روزفلت سمر الناس في مجالسهم وخطبته موضوع حديثهم ودار اطراء الاميركيين على السنتهم فنالت اميركا في باريس على يد المستر روزفلت ما لم تنله على يد رئيس سواه من ذي قبل حتى ان جريدة الليبرته اطرت خطبته وجعلت عنوان مقالتها « الدرس العظيم » في كلامها عنها وجريدة الفولوى وهي جريدة المتكيين وعدوة الجمهورية لم تمالك من مدحه والاعجاب به واشارت بوجوب طبع خطبته بحروف كبيرة والصاقها على الجدران ليقرأها الراغ والفادي في بلاد فرنسا كلها . وقد قرأنا حديثاً ان جريدة الطان طبعت ٥٧ الف نسخة من هذه الخطبة ووزعتها على معلمي المدارس